أصحاب النبي ﷺ

بين المادحين والقادحين

تأليف

الدكتور طلعت محمد عفيفي

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كَافَّةُ حُقُوقِ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّرْجَمَةِ مَحْفُوظَةٌ
لِلنَّاشِرْ
دَارُ السَّلَامِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجَمَةِ
لِصَاحِبِهَا
عَبْدُ الْقَادِرِ مَحْمُودُ الْبَكَّارْ

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًّا : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَة

الحمد للَّه رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك ، له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . .

وبعد ...

١ - فإن من مفاخر الإسلام ودلائل عظمته هذا الجيل من الصحابة الذين تربوا على يدي النبي ﷺ ، فكان منهم الخلفاء الراشدون ، والقادة الفاتحون ، والفقهاء المجتهدون ، والقضاة العادلون ، والدعاة الناصحون .

وقد كان لهؤلاء الصحابة الكرام فضل

السبق إلى الإسلام ، فعاينوا غربة الإسلام ومحنته وقت ظهوره ، فارتوت بدمائهم شجرته ، وأينعت بتضحياتهم ثمرته ، وبفضلهم عَمَّ نور اللَّه على العالمين ، وبسط الإسلام سلطانه على المشارق والمغارب ، وما وصل النور إلى الأجيال التالية إلا بسببهم ، وما دخل قوم في الهداية إلَّا عن طريقهم ، وما من مكرمة ولا مصلحة يعود فضلها إلى أحد من البشر - بعد رسول اللَّه ﷺ - إلا والصحابة الكرام يحوزون قصب السبق فيها ، وقد عناهم الشاعر بقوله :

فما العز للإسلام إلا بظلهم

وما المجد إلا ما بنوه فشيدوا

وقد اقتضى ذلك كله أن يثني اللَّه تبارك وتعالى على نبيه وفي نفس السياق يثني على أصحابه الكرام ، ويعدهم بالمغفرة والأجر العظيم لقاء ما قدموا فقال رب العزة : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] .

٢ - وقد تفطن أعداء الإسلام إلى أن

(١) سورة الفتح : الآية : ٢٩ .

أسهل الطرق للقضاء على هذا الدين أن يعمدوا إلى رموز الخير في هذه الأمة فيشوهوا صورتهم ، ويشككوا في عدالتهم ، وبذلك يفقدوا مصداقيتهم لدى الناس ، فينهار بنيان الإسلام من أساسه .

وهذا يفسر ما قام - ويقوم - به أعداء الإسلام من النيل والتشهير برسول اللَّه ﷺ وصولًا إلى هذا الغرض الخبيث ، ونفس الشيء سلكوه مع صحابة النبي ﷺ الكرام - رضوان اللَّه عليهم - فقد اندسَّ وسط صفوف المسلمين أحد اليهود الحاقدين ، وهو عبد اللَّه بن سبأ ، وذلك في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ فتظاهر باعتناق الإسلام ، ثم بدأ في الكيد له عن طريق

الطعن في كبار الصحابة متظاهرًا بحب آل البيت ومتشيعًا للإمام علي بن أبي طالب ﷺ .

٣ - وقد تصدى علماء الأمة ومفكروها لهذه المحاولات الخبيثة ، وقاموا بواجبهم خير قيام في الرد عليهم في حينه ، ولكن أعداء الإسلام لم يفتر لهم حماس ، فهم لا يزالون في منتدياتهم ومؤلفاتهم ينالون من أصحاب النبي ﷺ ، ويجتهدون في العمل على تضليل الأمة ، ويوسعون يومًا بعد يوم من دائرة نشاطهم لتشمل بلادًا كانت أبعد ما تكون عن مؤثراتهم وأفكارهم .

٤ - وإزاء ذلك فإن على الدعاة أن يقوموا بواجبهم في حراسة عقائد الأمة ممن يحاولون

سرقتها أو التشويش عليها ، وأن ينبروا للدفاع عن أسلافهم الصالحين ضد من يحاول تشويه صورتهم وتدنيس سيرتهم .

وقيامًا بهذا الواجب جاءتني فكرة هذا البحث الذي أسميته :

« أصحاب النبي ﷺ بين المادحين والقادحين » ، وقسمت بحثي هذا إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة : فقد اشتملت على أهمية البحث وسبب اختياره وعناصره الرئيسية .

أما المبحث الأول : فقد جاء بعنوان : « المنهج القويم في التعامل مع الصحابة الكرام والأدلة عليه » .

أما المبحث الثاني : فقد جاء بعنوان : « خطورة الطعن في أصحاب النبي ﷺ وحكم فاعله » .

أما المبحث الثالث : فقد جاء بعنوان : « ما شجر بين الصحابة من خلاف ، والطريقة المثلى في التعامل معه » .

وأما الخاتمة : فقد اشتملت على نتائج البحث وأهم التوصيات فيه .

وختامًا : أسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا ممن يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المؤلف

الدكتور طلعت محمد عفيفي

أجمعت الأمة بلسان علمائها وأئمتها على عدالة جميع الصحابة وصدقهم وأمانتهم ، وقد نص عدد كبير من هؤلاء العلماء على هذا الإجماع ، وسجلوه في كتبهم ومؤلفاتهم ، ونذكر من هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر :

- الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم [١] .

- الحافظ ابن حجر في الإصابة [٢] .

- والإمام ابن الصلاح في علوم

(١) شرح النووي على صحيح مسلم جـ ٥ - ص١٤٩ ، طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة جـ ١ ص٩ - ص١٠ طبعة أولى ١٣٢٨هـ ، دار إحياء التراث العربي .

المبحث الأول

المنهج القويم في التعامل مع الصحابة الكرام والأدلة عليه

الحديث [١] .

- والإمام ابن كثير في الباعث الحثيث [٢] .

- والإمام القرطبي في التفسير [٣] .

وكثير غيرهم نص على ذلك .

وهؤلاء العلماء القائلون بالإجماع على عدالة جميع الصحابة وصدقهم وأمانتهم - رغم التباعد الواقع بين أزمان هؤلاء العلماء وديارهم - يؤيدهم - مع القول بالإجماع -

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٦٤ ، ٢٦٥ طبعة ١٩٨١م الناشر المكتبة العلمية - بيروت .

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ٣١٥٤- ط ١٩٧٩م ، مكتبة دار التراث .

(٣) تفسير القرطبي جـ ٩ ص٦١١٩ ، تفسير سورة الفتح - طبعة دار الشعب .

شواهد وأدلة عديدة ، منها ما هو في كتاب اللَّه تعالى ، ومنها ما هو في سنته ، وشواهد وأدلة أخرى مستقاة من الواقع ، ومن شهادة الذين عاينوا الصحابة من الأصدقاء والأعداء على السواء .

وفيما يلي نتعرف على أهم هذه الشواهد والأدلة .

أولاً : شهادة القرآن الكريم لهم .

١ - من السور القرآنية التي تكرر فيها الثناء على أصحاب النبي ﷺ والشهادة لهم سورة الفتح ، وهي السورة التي نزلت على النبي ﷺ حين رجوعه من الحديبية ، وقد بلغ عدد الصحابة الذين رافقوا النبي ﷺ

وقتئذٍ ألفًا وأربعمائة كما في حديث جابر « كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة » [١] .

وفي شأن هؤلاء الصفوة يقول رب العزة : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [٢] .

والإشارة هنا إلى مبايعتهم لرسول اللَّه ﷺ في البيعة المسماة ببيعة الرضوان ، وذلك حين شاع بين الصحابة أن سفير رسول اللَّه ﷺ إلى المشركين وهو الصحابي

(١) الحديث أخرجه البخاري جـ ٣ ص١٩٠ كتاب التفسير - باب سورة الفتح ، وأخرجه البخاري أيضًا من رواية البراء بن عازب جـ ٣ ص٤٢ كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية .
(٢) سورة الفتح الآية : ١٨ .

الجليل عثمان بن عفان قد قُتلَ ، فبايعوه وقتئذٍ على حرب قريش دون أن يفروا ، ولم يتخلف عن بيعته أحد ممن كان معه إلا رجل واحد اسمه الجد بن قيس أخو بني سلمة [١] .

وفي الآية ثناء على الصحابة من عدة وجوه نلخصها فيما يلي :

أ - إعلان اللَّه تعالى رضاه عنهم والتأكيد على ذلك بلام التوكيد ودخول (قد) على الفعل الماضي لإفادة التحقيق ، وفي ذلك ما لا يخفى من الثناء واستحقاق الثواب .

يقول الإمام ابن تيمية : (والرضى من

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ٣ ص٢٢٨ وانظر البداية والنهاية جـ ٤ ص١٦٨ .

اللَّه صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى ، ومن رضي اللَّه عنه لم يسخط عليه أبدًا) [١] .

ويضيف قائلاً : (كل من أخبر اللَّه عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة ، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء والمدح له ، فلو علم أنه يتعقب ذلك لم يكن من أهل ذلك) [٢] .

ويؤيد هذا الاستنباط ما صح من حديث النبي ﷺ « لا يدخل النار إن شاء اللَّه من أصحاب الشجرة أحدٌ ، الذين بايعوا

(١ ، ٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٥٧٢ ، ٥٧٣ تحقيق محي الدين عبد الحميد ، طبعة ١٩٧٨م دار الكتب العلمية - بيروت .

تحتها »[١] .

ب - اطلاع اللَّه تعالى على ما في قلوبهم من الإيمان والصدق ومكافأتهم على ذلك في الدنيا قبل الآخرة .

وفي هذا شهادة ثانية على صلاح سريرتهم بعد أن عبَّروا عن صلاح علانيتهم وبيعتهم ، والبواطن والسرائر لا يخبر عن حقيقتها إلا رب العالمين ، ولذلك بارك اللَّه بيعتهم ، وكانت يده فوق أيديهم كما قال سبحانه قبل ذلك بقليل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا

(١) أخرجه مسلم واللفظ له جـ ٤ ص٩٤٢ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ وأخرجه الترمذي جـ ٥ - ص٦٩٥ كتاب المناقب باب فضل من بايع تحت الشجرة .

يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[١] .

وقبل نهاية سورة الفتح بقليل يقول رب العزة : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[٢] .

وفي هذه الآية ثناء آخر على صحابة رسول اللَّه ﷺ ممن كانوا معه وقتئذٍ ، وذلك في قوله : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ ﴾ ؛ وكلمة التقوى هي كلمة التوحيد ، وكونهم أحق بها وأهلها شهادة من اللَّه لهم لا تعدلها شهادة .

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .
(٢) سورة الفتح : الآية ٢٦ .

يقول الإمام البغوي في تفسيره[١] : ﴿ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا ﴾ من كفار مكة ، ﴿ وَأَهْلَهَا ۚ ﴾ : أي وكانوا أهلها في علم اللَّه ؛ لأن اللَّه تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير .

وفي ختام سورة الفتح جاءت هذه الآية الجامعة ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ الآية[٢] .

وفي هذه الآية الكريمة ثناء على أصحاب النبي ﷺ من عدة وجوه نلخصها فيما يلي :

أ - وصف اللَّه لهم بأزكى الصفات وأسمى الأخلاق ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

(١) المرجع المذكور جـ ٤ ص٢٠٤ طبعة أولى ١٩٨٦م دار المعارف بيروت .
(٢) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

ب - الثناء عليهم بكثرة تعبدهم لربهم مع الشهادة لهم بالإخلاص فيها ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ .

جـ - مكافأة اللَّه لهم في دنياهم بإنارة وجوههم ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[١] . ومكافأته لهم في الآخرة بالمغفرة والأجر العظيم ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وهذه الآية الكريمة وإن وردت في سياق الحديث عن الحديبية وما جرى فيها إلا أنها عامة في أصحاب النبي ﷺ ممن حضر معه ومن لم يحضر ، ويؤيد ذلك هذا العموم

(١) هذا على أساس أن معنى السيما نور الوجوه وحسنها ، وإلا ففيه معان أخرى كثيرة .

الذي جاء في مطلع الآية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ . . . ﴾ (١) .

(١) رغم وضوح الآية ودلالتها على المقصود من تزكية أصحاب النبي ﷺ جميعهم إلا أنني وجدت من يستدل بها على الضد ، ويعتبرها حجة على عدم إيمانهم ودخولهم الجنة جميعًا ، محتجًّا بلفظة ﴿ مِنْهُم ﴾ التي جاءت في آخر الآية حيث اعتبرها للتبعيض ، فهي تدل على قبول اللَّه لبعض الصحابة وليس الكل ، ويُرَدُّ على هذا الزعم بما يلي : - .
أ - أن مطلع الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ عام على اعتبار أن كل من معه ممن ينطبق عليهم وصف الصحابة هم من المؤمنين ولذا لم يقل (محمد رسول اللَّه والذين آمنوا معه) بعكس آية أخرى ذكرت هذا القيد ، وهي قوله تعالى في سورة التحريم : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ لأن الكلام في هذه الآية شمل المعاصرين للنبي ﷺ ومن بعدهم في جميع الأزمان فاقتضى التخصيص بالمؤمنين دون غيرهم .
ب - أن الكلام من أول السورة إلى آخر آية فيها تتحدث عمن كانوا حول رسول اللَّه ﷺ فتكون ﴿ مِنْهُم ﴾ منهم عائدة عليهم ، فهي للبيان وليست للتبعيض ، ولو =

٢ - ومن الآيات التي شهدت للصحابة كل ما جاء في القرآن الكريم من آيات فيها ذكر المهاجرين والأنصار ، مع إلحاق ذلك بالثناء على كلا الفريقين ، ومن ذلك :

= حذفت هذه الكلمة من السياق لما استقام المعنى ؛ لأن الحديث عن خصوص الصحابة لا عن عموم المؤمنين .
جـ - أن عامة المفسرين الذين تناولوا الآية بالشرح قالوا إنها ليست للتبعيض ، بحيث ينطبق هذا على بعض الصحابة دون غيرهم ، ولكنها إما أن تكون مجنسة مثل ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ أي من جنس الأوثان ويكون المعنى (وعد اللَّه الذين آمنوا منهم) أي من جنس الصحابة ، ويجوز أن تكون (من) مؤكدة للكلام ، والمعنى : وعدهم اللَّه كلهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولا يقال : إن هذا الوصف ينطبق على بعض القرآن دون بعض أ.هـ انظر تفسير القرطبي جـ ٩ ص٦١١٦ طبعة دار الشعب .

أ - قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وقد سبقت هذه الآية الكريمة آية بيَّن اللَّه فيها أن رضاه لا يكون عن الفاسقين ، فقال : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٢) ففي رضا اللَّه عنهم ورضاهم عنه شهادة لهم من اللَّه ، ولهذا ترتب عليها ما ذكر بعد ذلك من ثواب عظيم في الآخرة .

(١) سورة التوبة : الآية : ١٠٠ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٩٦ .

وفي الآية الكريمة ملحظ آخر ينطوي على شهادة لهؤلاء الصحابة ، وهو أن اللَّه - تبارك وتعالى - أعلن رضاه عنهم دون أي شرط ، ولم يرض عن التابعين إلا إذا اتبعوهم بإحسان (١) .

ب - ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

(١) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٥٧٢ - ابن تيمية .

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [٢] .

ففي هذه الآيات الكريمات شهادة للمهاجرين والأنصار من أصحاب النبي ﷺ بالصدق والفلاح والإيمان مع تعريف الجزأين (أي المبتدأ والخبر) في الجمل الثلاث ، والفصل بينهما بضمير الفصل (هم) وهذا مما يفيد الحصر كما يقول علماء البلاغة فكأنه قال : (ما أولئك إلا صادقون مؤمنون) .

وفي الآية الثالثة زاد على ذلك استعمال

(١) سورة الحشر : الآيتان ٨ ، ٩ .
(٢) سورة الأنفال : الآية ٧٤ .

كلمة ﴿ حَقًّا ﴾ وهي صفة لمفعول مطلق محذوف أي : المؤمنون إيمانًا حقًّا ، وهذا مما يفيد التأكيد ، ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ . . . ﴾ [١] .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين يعلن اللَّه تعالى توبته على نبيه وعلى جميع المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في غزوة العسرة (تبوك) ، وكان عددهم وقتئذٍ يقارب الثلاثين ألفًا [٢] ، كما شملت توبته – سبحانه وتعالى –

(١) سورة التوبة : الآيتان ١١٧ ، ١١٨ .
(٢) انظر البداية والنهاية جـ ٥ ص٢ الحافظ ابن كثير .

ثلاثة من الصحابة [١] تخلفوا لغير عذر ، ثم تابوا وأنابوا فتاب اللَّه عليهم .

وفي هذا ثناء على الصحابة وشهادة لهم بالخير من اللَّه تعالى ، فإن اللَّه تعالى لا يخبرنا أنه تاب على أحد من عباده إلا إذا رضي عنه وعن أفعاله ، ولما كانت أفعال الصحابة وتضحياتهم قد وقعت من اللَّه موقع الرضا ، فقد أعلن رب العزة توبته عليهم كما تاب على نبيه ﷺ سواء بسواء .

٣ – وهناك آيات أخرى شهدت لأصحاب النبي ﷺ وأثنت عليهم غير ما ذكرنا ونختار منها ما يلي :

(١) الصحابة الثلاثة هم : (كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع) ﷺ .

أ – قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [١] .

ففي هذه الآية الكريمة ثناء على من أنفق من ماله وضحى بروحه في سبيل اللَّه من أصحاب النبي ﷺ وأن الحسنى وهي الجنة عاقبة جميعهم لقاء ما قدموا ، ولكن يبقى التفاوت في المنزلة بحسب قيمة التضحية ومدى الاحتياج إليها ، فالذين ضحوا من قبل الفتح (فتح مكة) حين كانت الدعوة شديدة الحاجة إلى هذه التضحية أعلى منزلة

(١) سورة الحديد : الآية : ١٠ .

ممن ضحى وقد اشتدَّ عود الدعوة وأينعت ثمارها ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ .

ب - ومن الآيات التي مدح اللَّه فيها أصحاب النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

والكلام في الآيات حول من شارك من المسلمين في غزوة أحد مع النبي ﷺ ، وقد نالهم فيها ما نالهم من الأذى ، فدعاهم

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٧٢ : ١٧٤ .

النبي ﷺ في اليوم الثاني للخروج وراء قريش ، فلم يتخلف منهم أحد ، وحين هددهم البعض بعودة القرشيين إليهم مرة ثانية للقضاء عليهم ثبتوا على إيمانهم وفوضوا أمرهم إلى خالقهم ، فكان أن أثنى اللَّه على شجاعتهم ، ومدح صبرهم وإيمانهم ، ووعدهم بالفضل العظيم لقاء ما قدموا (١) .

ج - ومنها قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ١ ص٤٢٨ .
(٢) سورة الأنفال : الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .

والذين ألَّف اللَّه بين قلوبهم بعد عداوة هم الأوس والخزرج ، وقد صاروا بالإسلام أنصارًا لرسوله ﷺ ، وألف بين قلوب الأنصار والمهاجرين والتف الجميع حول النبي ﷺ يناصرونه ويآزرونه ، فمدح اللَّه فيهم صدق إيمانهم وهو مما يعد شهادة من اللَّه لهم .

هذا والآيات التي يمكن أن نستنبط منها مدح اللَّه تعالى لأصحاب نبيه ﷺ غير ما ذكرنا كثيرة ، ولكننا نقتصر على ما ذكرناه لكفايته في الدلالة على المطلوب .

٤ - ونضيف إلى هذا أن ثمة آيات كريمات شهدت لأفراد من الصحابة وأثنت

على مواقفهم وتضحياتهم ، ونختار من هذه الآيات ما يلي :

أ - قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (١) .

قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة : نزلت في صهيب بن سنان الرومي حيث اعترض المشركون طريقه أثناء هجرته فتنازل لهم عن كل ماله ليسمحوا له بالهجرة فنزلت الآية تمدح مسلكه ، وتثني على تضحيته (٢) .

ب - قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٠٧ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٤٧ .

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [١] نزلت في الصحابي الجليل أنس بن النضر حين فاتته المشاركة في غزوة بدر ، فعاهد ربه إن أراه مشهدًا آخر فليرين ما يصنع ، فقاتل ﷺ في غزوة أحد قتال الأبطال حتى استشهد ، وما عرفته إلا أخته الرُّبَيِّع بنت النضر ببنانه لكثرة الطعنات التي أصابته [٢] .

جـ - قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [٣] نزلت

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .
(٢) انظر القصة بتمامها في صحيح البخاري جـ ٢ ص ١٣٨- كتاب الجهاد والسير باب قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ ، وانظر (سنن الترمذي) جـ ٥ ص٣٤٩ - كتاب تفسير القرآن - باب سورة الأحزاب .
(٣) سورة الأنعام : الآية ٥٢ .

في نفر من المسلمين منهم سعد بن أبي وقاص وبلال وابن مسعود ، حيث طلب المشركون من رسول اللَّه ﷺ أن يطرد هؤلاء من حوله ليفسح لهم الطريق ، ولا يجترئوا عليهم فنزلت الآية [١] .

وهذه شهادة من اللَّه لهم بإقامتهم على طاعة اللَّه وإخلاصهم فيها ، وفي هذا تزكية عظيمة لهم .

هذا والآيات التي وردت في الثناء على أفراد من الصحابة كثيرة ولكني أكتفي بما ذكرت لدلالته على المقصود .

(١) انظر (صحيح مسلم) جـ ٤ ص١٨٧٨ - كتاب فضائل الصحابة - باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ .

ثانيًا : شهادة النبي ﷺ لأصحابه :

أعلم الناس بصحابة النبي ﷺ هو النبي ﷺ نفسه ، فهم غرسه الذي جنى ثمرته ، وبإيمانهم أتم اللَّه عليه منته ، فكانوا عدة له في الشدائد وأبطالًا معه في النوائب ، وقد امتن اللَّه بوجود هذه العصبة المؤمنة من حوله فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١] .

ولذلك فقد ورد على لسانه ﷺ كثير من الثناء على أصحابه ، واتخذ ذلك الثناء أشكالًا عدة نذكر منها :

أ - ثناؤه ﷺ على مجموع الصحابة .

ب - ثناؤه ﷺ على طائفة معينة منهم

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٢ .

كالمهاجرين أو الأنصار .

جـ - ثناؤه على أفراد من أصحابه كالخلفاء الأربعة وغيرهم .

وقد اجتهد محدثو الأمة في جمع هذه الأحاديث في مصنفاتهم بحيث لا يكاد يخلو كتاب منها يتناول مآثر الصحابة ومكانتهم من خلال أقوال النبي ﷺ في جزء يسمونه (المناقب) أو كتاب (فضائل الصحابة) .

وقد يعمد المحدث إلى وضع مؤلف كامل يتناول فيه فضائل الصحابة دون غيرها ، ومثاله ما فعله الإمام أحمد في كتاب له باسم (فضائل الصحابة) في مجلدين ، فجمع فيهما قريبًا من ألفي

حديث وأثر [١] ، ومثله للإمام الدارقطني [٢] ومثله لأبي الحسن خيثمة ابن سليمان الأطرابلسي [٣] .

نذكر مثالين من أقوال النبي ﷺ على كل شكل من الأشكال الثلاثة السابق ذكرها .

فمن قبيل ثنائه ﷺ على مجموع أصحابه ما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا

(١) نشرت هذا الكتاب جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ بتحقيق الدكتور / وصي اللَّه بن محمد بن عباس .
(٢) مخطوط .
(٣) نشرت هذا الكتاب دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٠هـ بتحقيق الدكتور / عمر عبد السلام تدمري .

نصيفه » [١] .

ومن هذا القبيل قول النبي ﷺ وقد سئل أي الناس خير قال : « قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » [٢] .

ومن قبيل ثنائه ﷺ على طائفة معينة من أصحابه قوله في شأن الأنصار : « آية

(١) أخرجه البخاري جـ ٢ ص١٩٢ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ وأخرجه مسلم جـ٤ ص١٩٦٧ ، كتاب فضائل الصحابة - باب تحريم سب الصحابة ﷺ .
(٢) أخرجه البخاري بهذا اللفظ جـ ٤ ص١٥٣ كتاب الأيمان والنذور - باب إذا قال أشهد باللَّه أو شهدت باللَّه / أخرجه مسلم جـ ٤ ص ١٩٦٣ ، باب فضائل الصحابة - باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » [١] وقال عنهم كذلك : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق » [٢] .

وأما الأحاديث التي وردت في شأن أفراد من الصحابة فهي تفوق الحصر ، ويكفي أن يطَّلع القارئ على ما أورده الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما في كتاب فضائل الصحابة عن مناقب كل صحابي منهم على حدة ؛ ليتحصل لديه من هذا اللون الكثير .

(١ ، ٢) الحديثان أخرجهما البخاري جـ ٢ ص ٣١٠ ، كتاب مناقب الأنصار وأخرجهما مسلم جـ ١ ص ٨٥ كتاب الإيمان - باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق .

وكما كان للمحدثين جهد في وضع مؤلفات كاملة تتناول فضائل الصحابة عامة فقد كان لهم جهد مماثل في تناول أفراد من الصحابة بالتأليف والمصنفات ، ومن ذلك على سبيل المثال كتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي [١] وكتاب « الرياض النضرة في مناقب العَشَرَة » في مناقب خليفة رسول اللَّه أبي بكر الصديق ﷺ للإمام محب الدين أبي جعفر أحمد بن عبد اللَّه بن محمد الطبري الشافعي [٢] .

والخلاصة : أن السنة حافلة بالكثير من

(١) طبع الكتاب بواسطة دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .
(٢) طبع هذا الكتاب بواسطة دار الغرب الإسلامي بتحقيق عيسى بن عبد اللَّه بن محمد بن مانع .

الأحاديث والآثار الدالة على فضائل الصحابة وفيما ذكرنا كفاية ، واللَّه أعلم .

ثالثًا : شهادة الصحابة لبعضهم :

مما يفيد الباحث في هذا المجال أن يتعرف على رأي الصحابة أنفسهم فيما كان عليه جيلهم من خلق حسن وتضحية لأجل هذا الدين ، وكلماتهم في هذا المجال ليست من المجاملة في شيء ، فإنهم تربُّوا على الصدق فلم يكن شيء أبغض إليهم من الكذب ، وفي الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول اللَّه ﷺ من الكذب » [١] .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ٦ ص ١٥٢ ، وقال عنه الحافظ العراقي : رجاله ثقات - انظر إحياء علوم =

في ضوء هذه الحقيقة أوردُ عددًا من الشهادات وعلى رأسها شهادتان للإمام عليٍّ رضي الله عنه لما لشهادته من قيمة خاصة في هذا المجال ، وفيما يلي نذكرهما :

أ - ففي ثنائه على عبادة الصحابة للَّه تعالى يقول سيدنا علي رضي الله عنه : واللَّه لقد رأيت أصحاب النبي ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا غبرًا بين أعينهم كأمثال ركب المعزى [١] قد باتوا للَّه سجدًا وقيامًا ، يتلون آيات اللَّه ، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا

= الدين هامش جـ ٩ ص ١٥٨٦ - طبعة دار الشعب .
(١) ركب جمع ركبة ، ويقال : فلان بين عينيه مثل ركبة العنز من أثر السجود .

أصبحوا فذكروا اللَّه مادُوا كما يميد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم ، واللَّه لكأن القوم باتوا غافلين [١] .

ب - وفي ثنائه على شجاعة الصحابة ، وما أجراه اللَّه على أيديهم من فتوحات يقول : (ولقد كنا مع رسول اللَّه ﷺ نقتل آباءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا ومضيًّا على اللقم [٢] ، وصبرًا على مضض الألم ، وجدًّا في جهاد العدو ، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول

(١) البداية والنهاية جـ ٨ ص٦ الحافظ ابن كثير / وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء بنحوه جـ ١ ص ٧٦ طبعة رابعة سنة ١٩٨٥م - دار الكتاب العربي .
(٢) اللقم : معظم الطريق أو جادته .

الفحلين يتخالسان أنفسهما [١] أيهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا ، فلما رأى اللَّه صدقنا أنزل بعدونا الكبت [٢] ، وأنزل اللَّه علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقيًا جرانه [٣] ، ومتبوئًا أوطانه ، ولعمري لو كنَّا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود) أ.هـ [٤] ولغير الإمام عليٍّ رضي الله عنه أسوق هذه الشهادات :

يقول سيدنا عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما :

(١) يتخالسان أنفسهما : - كل يطلب اختلاس روح الآخر .
(٢) الكبت : الذل والخذلان .
(٣) ملقيًا جرانه : جران البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .
(٤) نهج البلاغة جـ ١ ص ١٥٧ طبعة أولى ١٩٨٥م .

(من كان مستنًّا فليستن بمن كان قبله ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة ، أبرُّها قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم اللَّه لصحبة نبيه محمد ﷺ ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم ، واللَّه رب الكعبة) [١] وهو القائل أيضًا ﷺ : (لا تسبُّوا أصحاب محمد ﷺ فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله) [٢] .

وسأله يومًا قتادة : (هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون ؟ فقال : نعم ،

(١) حلية الأولياء جـ ١ ص ٣٠٥ أبو نعيم .
(٢) الصارم المسلول ص ٥٨٠ ابن تيمية .

والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال) [١] .

يقول سيدنا عبد اللَّه بن مسعود ﷺ : (إن اللَّه نظر في قلوب العباد فاختار محمدًا ﷺ فبعثه إلى خلقه ، فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه ، ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار له أصحابه فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ﷺ) [٢] .

وإذا كانت هذه الشهادات - التي ذكرنا بعضها - قد تناولت عموم الصحابة رضوان اللَّه عليهم فإن ثمة آثارًا كثيرة وردت على ألسنة الصحابة يثنون فيها على أفراد منهم .

ولما كان موضوعنا يتناول عامة الصحابة

(١) حلية الأولياء جـ ١ ص ٣١١ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٧٥ .

فقد رأيت أن أقتصر على ما أوردته من شهادات لعامتهم ، وأحيل من أراد الاستزادة من هذه الشهادات لأفراد منهم ؛ إلى كتب المطولات .

رابعًا : شهادة الأعداء لهم :

بعد أن عرفنا شهادة الصحابة لبعضهم البعض نذهب إلى فريق آخر لشهادته في هذا المجال قيمتها ؛ لأنها مجردة عن الهوى ، ولا يدفع إليها سوى الإعلان عن الحقيقة التي فرضت نفسها عليهم ، وصدق من قال :

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والحق ما شهدت به الأعداء

ونبدأها بشهادة بعض العرب الذين عاصروا النبي ﷺ وأصحابه :

أ - ففي بيان حب الصحابة لرسولهم ﷺ وتعظيمهم له يقول عروة بن مسعود الثقفي وافد قريش إلى النبي ﷺ عام الحديبية : (أي قوم : واللَّه لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي ، واللَّه ما رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا ، واللَّه إن تنخَّم نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فدلَّك بها جلده ووجهه ، فإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدُّون إليه النظر

تعظيمًا له) [١] .

ب - وفي السياق ذاته يقول أبو سفيان بن حرب قبل أن يعلن إسلامه : (ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد لمحمد) [٢] .

ومن الشهادات التي أدلى بها غير العرب في حق الصحابة الكرام نختار هذه الشهادات .

أرسل المقوقس عظيم القبط في مصر من يشاهد المسلمين ويخبره بحالهم ، وذلك حين جاء المسلمون لفتح مصر فقالوا :

(١) تفسير البغوي جـ ٤ ص ٢٠٠ طبعة أولى سنة ١٩٨٦م دار المعرفة - بيروت .
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢ ص ١٩ القاضي عياض .

(رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون في صلاتهم) [١] .

وطلب هرقل من جنوده أن يصفوا له هؤلاء المسلمين الذين يقاتلونهم فقال لجنده : (ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم ؟

(١) فتوح مصر وأخبارها ص ٦٥ ابن عبد الحكم .

قالوا : بلى ، قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن ، قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم) [١] .

ويقول الإمام مالك بن أنس ﷺ : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأو الصحابة ﷺ الذين فتحوا الشام يقولون : (واللَّه لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا) [٢] .

(١) البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٥ الحافظ ابن كثير .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٠٤ آخر سورة الفتح - طبعة عيسى الحلبي .

وإلى جانب هذه الشهادات لجيل الصحابة من القدامى توجد شهادات أخرى لمفكرين معاصرين غير مسلمين دفعهم التجرد لطلب الحقيقة إلى إعلان إعجابهم بهؤلاء الصحابة وثنائهم عليهم ، ونختار من هذه الشهادات ما يلي :

يقول كاتاني : (لقد كان هؤلاء الصحابة ممثلين صادقين لتراث رسول اللَّه ﷺ الخلقي ودعاة الإسلام في المستقبل وحملة تعاليم محمد ﷺ التي بلغها إلى أهل التقوى والورع ، لقد دفع بهم اتصالهم المستمر برسول اللَّه ﷺ وحبهم الخالص للَّه إلى عالم حسن الفكر والعواطف ، لم يشهد محيط أسمى منه وأرقى منه مدنية واجتماعًا ، والواقع أن هؤلاء

الصحابة كانت قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية ، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ محمد ﷺ إنما بذرت في أخصب أرض وأنبتت نباتًا حسنًا ، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءة عالية جدًّا ، وكانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها ، وكانوا محافظين على كل ما تلقوه من رسول اللَّه ﷺ من كلام أو أمر ، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين) [1] .

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٤٢٩ توماس أرنولد نقلاً عن (صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية ص ١٠٠ - ص ١٠١) أبو الحسن الندوي .

خامسًا : شهادة الواقع :

المتتبع لتاريخ الإسلام منذ ظهوره إلى يومنا هذا لا يملك إلا الاعتراف بأن أزهى عصور الإسلام هي التي كانت زمن النبي ﷺ والخلفاء من بعده ، وذلك بشهادة الأصدقاء والأعداء على السواء .

ولم ينشأ هذا الوضع من فراغ ، وإنما سبقته تضحيات جمة من رسول اللَّه ﷺ ومن صحابته الكرام ، تتمثل في جهادهم المتواصل بالأنفس والأموال حتى كانوا يبكون إذا فاتهم شرف الجهاد في سبيل اللَّه إذا لم يجد الرسول ﷺ ما يحملهم عليه ، ومن ثم نجد كثيرين منهم غادروا بلادهم

وديارهم ، وحملوا أرواحهم على أكفهم في سبيل دينهم ودعوتهم ، فمات الأكثرون منهم غرباء ، وقبورهم في شتى أنحاء المعمورة في الشام والعراق وخراسان والهند واليمن وغيرها أكبر دليل على ذلك .

وقد توج اللَّه تعالى هذه الجهود وتلكم التضحيات بالنصر العظيم والفتح المبين ، ففتحت بلاد فارس والروم وما حولها وما وراءها ، وهذه تعد شهادة ضمنية من اللَّه لهم بأنهم على حق ، فإن اللَّه سبحانه وتعالى لا يصلح عمل المفسدين وهو القائل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [1] .

وهو القائل سبحانه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [2] .

(١) سورة النور : الآية ٥٥ .
(٢) سورة الحج : الآية ٤٠ .

اتخذ الطعن في الإسلام أشكالًا عدة كان من بينها النيل من رموز الخير فيه ، وعلى رأس هؤلاء صحابة النبي ﷺ وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في المقدمة .

وقد نجحت خطة أعداء الإسلام في استقطاب عدد لا يستهان به من المنتسبين إلى الإسلام ، جعلوا كل اهتمامهم التطاول على أصحاب النبي ﷺ ووصفهم بأفظع الألفاظ وأقبح العبارات ، واتهامهم بالتكالب على الدنيا ، والحكم عليهم بالردة بعد وفاة النبي ﷺ باستثناء عدد قليل منهم لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة [1] .

(١) يرى الرافضة أن جميع الصحابة كفار فيما عدا بعضهم وهم : سلمان الفارسي ، وأبو ذر ، والمقداد بن الأسود وعمار ابن ياسر ، إضافة إلى سيدنا علي بن أبي طالب وآل بيته ﷺ .

المبحث الثاني

خطورة الطعن في أصحاب النبي ﷺ وحكم فاعله

ومما يروى في التعجب من مثل هذا الموقف - إذا ما قورن بموقف اليهود والنصارى حيال أصحاب أنبيائهم - يقول الإمام الشعبي ﷺ : (سئلت اليهود مَنْ خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى ، وسئلت النصارى : مَنْ خير أهل ملتكم ؟ قالوا : حواريو عيسى ، وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم) [1] .

ويترتب على هذا الموقف الخطير عدد من السلبيات نجملها فيما يلي :

١ - الطعن في ذات اللَّه تعالى .

(١) منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٦ ابن تيمية - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت .

٢ - الطعن في رسول اللَّه ﷺ .

٣ - الطعن في القرآن الكريم .

٤ - الطعن في دعوة الإسلام وشريعته .

ونعود بعد هذا الإجمال إلى التفصيل في كل نقطة منها على حدة :

١ - أما الطعن في ذات اللَّه تعالى فمرده إلى أن من يتهم الصحابة بالردة والكفر أو الفسوق والعصيان ينسب من حيث لا يشعر الجهل أو العبث إلى اللَّه تعالى .

وبيان ذلك أن اللَّه تعالى أثنى في كتابه الكريم على أصحاب نبيه ﷺ ، وبين أنه تاب عليهم ورضي عنهم ، وأنه سبحانه وعدهم بالحسنى ، فإذا آل أمر الصحابة بعد

كل هذا إلى الكفر والارتداد عن الدين كان معناه نسبة الجهل إلى اللّه تعالى بما سيؤول إليه أمر هؤلاء الصحابة إذا زعم القائلون بذلك أن اللَّه خفي عليه أمرهم ، فإن قالوا كان عالمًا بما سيؤول إليه أمرهم كان ثناؤه عليهم ووعدهم بالحسنى ضربًا من العبث ، والجهل والعبث محال على اللَّه تعالى .

ويضاف إلى هذا أن من أسماء اللَّه الحسنى الحكيم ، فأفعاله تعالى موسومة بالحكمة ، ومن بين ذلك اختياره لأصحاب نبيه ليكونوا أصحابه ووزراءه وأنصار دينه وأصهاره ، وقد مرَّ بنا قول ابن مسعود في هذا .

فإذا جاء من يتهم هؤلاء الصحابة بأنهم

كفار ومرتدون طعن في حكم اللَّه تعالى ووصف خالقه بما لا يليق به [١] .

٢ - أما الطعن في رسول اللَّه ﷺ فمن زاوية الحكم عليه بالفشل في تربية جيل من الصحابة لم يثبتوا على الإسلام ، بل ارتدوا على أعقابهم إثر وفاة نبيهم ، ولم يثبت عليه منهم إلا النزر اليسير .

وهذا يخالف ما اتفقت عليه كلمة المؤرخين من المسلمين وغير المسلمين على السواء ، وهو يعارض في الوقت ذاته ما خص اللَّه به نبيه من بين سائر الرسل وهو

(١) انظر اعتقاد أهل السنة من الصحابة ص ٧٠ ، محمد ابن عبد اللَّه الوهيبي - طبع المنتدى الإسلامي - لندن - بدون تاريخ .

ما يقتضي كثرة المؤمنين به والتابعين له بعكس ما يقول الرافضة ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن كل من التفوا حول النبي ﷺ من كبار الصحابة كانوا يحظون منه بمكان القرب ، بدليل ، ما أطلق عليهم من أوصاف تدل على عمق الصلة بينهم وبينه فالزبير بن العوام حواريُّه ، وأسامة بن زيد حبُّه وابن حبِّه ، وحذيفة بن اليمان حامل سره ، وأنس بن مالك خادمه . . . إلخ .

وبدليل آخر وهو حرصه ﷺ على الارتباط بكبار الصحابة بواسطة المصاهرة ، فقد زوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء لسيدنا عليٍّ ، وزوج سيدنا عثمان بابنته السيدة رقية ثم السيدة أم كلثوم ، وتزوج من السيدة

عائشة بنت الصديق أبي بكر وبالسيدة حفصة بنت الفاروق عمر ﷺ جميعًا .

فإذا كان الصحابة بهذه المنزلة من رسول اللَّه ﷺ ثم يأتي من يتهمهم بالكفر والإلحاد في دين اللَّه ، فإنَّ ذلك يطعن أول ما يطعن في شخص النبي ﷺ الذي لم يكترث بمن حوله فكانوا أئمة الكفر وقادة الضلال .

وقد لاحظ هذا المعنى الإمام مالك فقال : (إنما هؤلاء القوم أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك ، فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجل سوء ، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين) [١] .

(١) الصارم المسلوم ص ٥٨٠ ابن تيمية .

٣ - أما الطعن في القرآن الكريم فلأن القرآن بلغنا بواسطتهم ونقل إلينا عن طريقهم ، فإذا كانوا مغموصًا عليهم في دينهم ، فإن الثقة يومئذٍ تنعدم بكل ما جاءنا عن طريقهم ، ومن ذلك القرآن الكريم ، ومن المعلوم أن ما يتداوله الناس من كتاب اللَّه اليوم هو ما اعتمده الخليفة الراشد عثمان ابن عفان وأجمع عليه جميع المسلمين وقتئذٍ .

ومما يدل على ذلك قول أبي زرعة ﷺ : (إذا رأيت الرجل ينتقص شيئًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فاعلم أنه زنديق ؛ لأن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول اللَّه ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا

شهودنا وليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة) [١] .

٤ - أما الطعن في دعوة الإسلام وشريعته فمنشؤه من أن الإسلام الذي جعله اللَّه خاتمة الرسالات ، وضمَّنه أسباب السعادة البشرية في حاضرها ومستقبلها في الدنيا والآخرة ، وهذا الدين إذا لم تسفر جهود نبيه على مدى ثلاثة وعشرين عامًا إلا عن إسلام هذا العدد القليل بينما انقلب جميع المؤمنين به على أعقابهم فور موت نبيهم ﷺ ، كيف يمكن لمثل هذا الدين أن يقتنع به

(١) مقدمة كتاب العواصم من القواصم ص ٣٤ القاضي أبو بكر بن العربي بتحقيق محب الدين الخطيب - طبعة ١٩٨٥ م المكتبة العلمية بيروت .

أحد ، أو يقبل على الإيمان به شخص ؟ .

(إن الدعوة الإسلامية إذا لم تتمكن من التأثير العميق في الحياة أيام ازدهارها على يد داعيتها الأعظم ، وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القويمة ، ولم يعودوا أوفياء لدعوة نبيهم محمد ﷺ مع وفاته وذهابه إلى الرفيق الأعلى ، ولم يبق على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي ﷺ أتباعه إلا أربعة معدودة فقط ، فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكية النفس الإنسانية وتهذيب الأخلاق ، وأنه يستطيع أن ينقذ الإنسان من الهمجية والشقاء ويرفعه إلى قمة الإنسانية .

هب أن ممثلاً يلقي محاضرة بليغة ساحرة في صدق الإسلام في أي عاصمة غربية أو بلد غير مسلم ، وفي خلال المحاضرة يقوم رجل ويقاطعه قائلاً : عليك بنفسك ودينك أولاً أيها الرجل فتفقدها في ضوء التاريخ ، فما دامت نتيجة جهود نبيكم المضنية في سبيل الدين التي دامت ثلاثة وعشرين سنة اهتدى إلى طريقه أربعة أو خمسة أشخاص فَحَسْب ممن ظلوا قائمين بالدين ، فكيف يسوغ لكم أن توجهوا دعوة الإسلام إلى غير المسلمين ، وماذا يضمن ثباتهم واستقامتهم إذا أسلموا هل يمكننا أن نرد على هذا السؤال) ؟ [١] .

(١) صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية ص ١٠٠ ، ١٠١ أبو الحسن الندوي - طبعة ثالثة سنة ١٩٨٨م بدون اسم مطبعة .

لأجل هذه السلبيات وغيرها يرى علماء الأمة أن من يطلق لسانه بالتطاول على أصحاب النبي ﷺ يتعاطى منكرًا من المنكرات وكبيرة من أعظم الكبائر ، يعرض فيها نفسه لحبوط عمله والخروج من دائرة الإسلام ، وإليك بعض أقوالهم في هذا الشأن .

- يقول الإمام أحمد بن حنبل : (إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب النبي ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام) [١] .

- ويقول الإمام مالك في تعليق له على قوله تعالى - في سياق الحديث عن أصحاب النبي

(١) الصارم المسلول ص ٥٦٨ ابن تيمية .

ﷺ - ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾ : (من أصبح في قلبه غيظ لأصحاب النبي ﷺ فقد أصابته هذه الآية) [١] .

وجاء عن الإمام مالك أنه قال أيضًا : (من أبغض الصحابة وسبَّهم فليس له في فيء المسلمين حق ، ونزع بآية الحشر : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾) [٢] .

- وقد مر بنا ما قاله أبو زرعة الرازي في شأن هؤلاء وأنهم زنادقة .

- ويقول أبو نعيم : (فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول اللَّه ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون في حال الغضب والموجدة

(١) تفسير البغوي جزء ٤ ص ٢٠٧ .
(٢) الشفا للقاضي عياض جزء ٢ ص ٤٢ .

إلا مفتون القلب في دينه) [١] .

ويقول أيضًا : (لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين) [٢] .

- ويقول أيوب السختياني : (من انتقص أحدًا منهم - يعني من أصحاب النبي ﷺ - فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح ، وأخاف ألا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعًا ويكون قلبه سليمًا) [٣] .

- وقال سهل بن عبد اللَّه التستري : (لم

(١) اعتقاد أهل السنة والصحابة ص ٦٧ نقلاً عن الإمامة لأبي نعيم ص ٣٤٤ .
(٢) نفس المرجع ص ٦٨ نقلاً عن الإمامة لأبي نعيم ص ٣٧٦ .
(٣) الشفا للقاضي عياض جزء ٢ ص ٤٢ .

يؤمن بالرسول ﷺ من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره) [١] يضاف إلى هذا أن العلماء يرون ضرورة التصدي لمن يستبيحون لأنفسهم التطاول على أصحاب النبي ﷺ وضرورة إيقاع العقوبة بهم .

– يقول الإمام ابن تيمية : (من لعن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ – كمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، ونحوهما . ومن هو أفضل من هؤلاء كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة ونحوهما أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان وعلي بن أبي طالب أو أبي بكر الصديق وعمر أو عائشة أم المؤمنين وغير هؤلاء من

(١) نفس المرجع جـ ٢ ص ٤٣ .

أصحاب النبي ﷺ – فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين) [١] .

– ويقول الإمام ابن القيم نقلاً عن الإمام أحمد بن حنبل : (من طعن في أصحاب النبي ﷺ وجب على السلطان أن يعاقبه ، وليس للسلطان أن يعفوا عنه ، بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب وإلا أعاد العقوبة) [٢] .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٣٥ ص٥٨ وقد تكلم الإمام ابن تيمية في شأن العقوبة التي يستحقها من يسب الصحابة ، فذكر عن الإمام أحمد وغيره : وجوب تعزيره وحبسه واستتابته حتى يرجع بالجلد ، وإن لم ينته حبس حتى يموت أو يراجع ، ونقل عن طائفة من فقهاء الكوفة وغيرهم القول بكفرهم ووجوب قتلهم والمسألة مبسوطة في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٥٦٧ وما بعدها) .

(٢) أعلام الموقعين جـ ٤ ص ٣٧٨ طبعة دار الجيل – بيروت .

المبحث الثالث

ما شجر بين الصحابة من خلاف والطريقة المثلى في التعامل معه

لم يدَّعِ أحد من أهل السنة عصمة الصحابة عن فعل الذنوب وإمكانية اقترافهم للآثام صغيرها وكبيرها ، وقد أقام النبي ﷺ الحد على بعضهم حين ما صدر منهم ما يستحقون العقوبة عليه .

لكن أهل السنة يرون أن هذه الذنوب لا تحط من قدرهم ، ولا تنزل من رتبتهم ، فإن لهم من الحسنات ما تذوب في محيطه هذه الهفوات – على فرض صحة صدورها منهم – بحيث لم ينتقل منهم أحد إلا وقد تاب وأناب ، ولقي ربه طاهرًا مطهرًا ببركة صحبتهم لرسول اللَّه ﷺ ونصرتهم له وبذل دمائهم وأرواحهم في سبيل دينهم ، وثمة أشياء أخرى فعلوها بدافع الاجتهاد ، والمجتهد إن أصاب له أجران

وإن أخطأ فله أجر .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معتقد أهل السنة في الصحابة : (إنهم لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ، حتى إنه ليغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم ، لأن لهم من الحسنات التي تمحوا السيئات ما ليس لمن بعدهم ، وقد ثبت بقول رسول اللَّه ﷺ : « أنهم خير القرون وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبلٍ مثل أُحدٍ ذهبًا ممن بعدهم » .

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه بفضل سابقته ، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين ، إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد ، والخطأ مغفور لهم ؟

ثم القدر الذي يُنْكَرُ من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان باللَّه ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح) [1] .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ١٥٥ .

وانطلاقًا من هذا يرى سلف الأمة الصالح ضرورة الترفع عن ذكر ما يسيء إلى الصحابة والإمساك عما شجر بينهم من خلاف .

وفيما يلي ذكر لبعض أقوالهم في هذا الشأن :

أ – عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : « الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت واحدة ، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانًا ﴾ [1] فهؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [2] .

(١) سورة الحشر : الآية ٨ .
(٢) سورة الحشر : الآية ٩ .

قال : هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت ثم قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ [١] قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة ، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ، يقول : (أن تستغفروا لهم) » [٢] .

ويشير سيدنا سعد بن أبي وقاص بالمنزلة الثالثة إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ الآية . فلم يرض اللَّه عن أحد بعد المهاجرين والأنصار إلا عمن استغفر لهم وأثنى عليهم .

ب – الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ

(١) سورة الحشر : الآية ١٠ .
(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٥٧٤ ابن تيمية .

تكلم البعض أمامه في الذي جرى بين الصحابة فقال : ﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [١] .

وروِيَ عنه قوله : (مثل أصحاب رسول اللَّه ﷺ مثل العيون ، ودواء العيون ترك مسها) [٢] .

ج – الإمام جعفر الصادق ﷺ حين سئل عما شجر بين الصحابة من خلاف قال : أقول ما قال اللَّه : ﴿ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [٣] .

د – التابعي الجليل الربيع بن خُثَيم حين بلغه مقتل الإمام الحسين ﷺ قال : (أقتلوه ؟ قالوا :

(١) العواصم من القواصم ص ٢٥٢ أبو بكر بن العربي .
(٢) الإنصاف ص ٦٩ الباقلاني .
(٣) نفس المرجع والصفحة .

نعم ، فقال : ﴿ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [١] ولم يزد على هذا أبدًا [٢] .

هـ – يقول أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله : (الإمساك عن ذكر أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، وذكر زللهم ونشر محاسنهم ومناقبهم ، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه : من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان الذين مدحهم اللَّه ﷻ بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ . [٣]) اهـ [٤] .

(١) سورة الزمر : الآية ٤٦ .
(٢) العواصم من القواصم ص ١٨٠ .
(٣) سورة الحشر : الآية ١٠ .
(٤) الإمامة ص ٣٧٣ نقلاً عن اعتقاد أهل السنة في الصحابة ص ٧٤ محمد بن عبد اللَّه الوهيبي .

وأخيرًا أقول لمن يهيلون التراب على تراثهم ويحطون من قدر أسلافهم وحاملي رسالة نبيهم : تُرى لو كان هؤلاء الصحابة جزءًا من تاريخ أوربا أو أمريكا ماذا كان يمكن أن يفعلوا ؟ ونحن نراهم يفتعلون لأنفسهم تاريخًا من غير تاريخ ، فهل يليق بنا – نحن المسلمين – ونحن ورثة تاريخ لا تحلم البشرية بمثله أن نقتل أنفسنا بأيدينا ، ونصور بالباطل والكذب خير القرون بأنهم كانوا عصابة من اللصوص تكالبوا على الدنيا وتقاتلوا من أجلها ؟ اللَّهم إن هذا منكر لا يرضيك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخاتمة

بعد هذه الدراسة الموجزة حول صحابة النبي ﷺ أعود فأُذكِّر بأهم نتائجها ، وذلك في النقاط التالية :

١ - أن صحابة النبي ﷺ كلهم عدول وهو ما أجمعت عليه الأمة ، ومستندهم في ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة وشهادات الأعداء والأصدقاء على السواء ، مع ما أظهره اللَّه على أيديهم من بركات ، وما حققوه للإسلام من نتائج وثمرات .

٢ - اتفاق الأئمة - أخذًا من السنة - على خطورة الطعن في أصحاب النبي ﷺ وما يترتب على هذا من آثار سيئة على الدعوة

الإسلامية ، وما ينتجه من طعن في ذات اللَّه ورسول اللَّه وفي القرآن ، واتفاقهم على ضرورة معاقبة من يستمرئ هذا العمل حتى يتخلى عنه .

٣ - أن الواجب على المسلمين العمل بما أمرهم اللَّه حيال أسلافهم من المؤمنين ، وذلك بالاستغفار لهم ، والترفع عما يسيء إليهم ، والإمساك عما شجر بينهم من خلاف .

وأعود فأقول : إن شغل الأمة بما جرى بين الصحابة - فوق أنه يثير الفتن - يعد لونًا من العجز يلجأ إليه ضعاف النفوس ، حين يرون تخلف الأمة فيُحَمِّلون مسئولية

خيبتهم على هؤلاء الصحابة الكرام .

ونحن في زمن أحوج ما نكون إلى العمل لا إلى الجدل ، ووحدة الصفوف وتقاربها وليس اختلافها وتنافرها .

وفي الختام أسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا ممن يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأن يغفر لي ولوالدي ولأساتذتي وأن يجزي عنا نبينا وصحابته الكرام خير ما يجزي به عباده الصالحين ، والحمد للَّه رب العالمين .

المؤلف
الدكتور طلعت محمد عفيفي
عميد كلية الدعوة - جامعة الأزهر

المراجع

١ - اعتقاد أهل السنة في الصحابة - محمد بن عبد اللَّه الوهيبي - طبع المنتدى الإسلامي - لندن - بدون تاريخ .

٢ - أعلام الموقعين - ابن قيم الجوزية - طبعة دار الجيل - بيروت .

٣ - الباعث الحثيث - شرح اختصار علوم الحديث - طبعة ثالثة ١٩٧٩م مكتبة دار التراث .

٤ - البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير - طبعة ثالثة ١٩٧٨م مكتبة المعارف - بيروت .

٥ - تفسير القرطبي - طبعة دار الشعب .

٦ - تفسير البغوي - طبعة أولى ١٩٨٦م - دار المعرفة - بيروت .

٧ - حلية الأولياء - أبو نعيم الأصبهاني - طبعة

رابعة ١٩٨٥م دار الكتاب العربي .

٨ - سنن الترمذي - طبعة ثانية ١٩٧٥م - مطبعة مصطفى الحلبي .

٩ - شرح النووي على صحيح مسلم - طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها .

١٠ - الصارم المسلول على شاتم الرسول - ابن تيمية - طبعة ١٩٧٨م - دار الكتب العلمية - بيروت .

١١ - صحيح البخاري - طبعة عيسى الحلبي - بدون تاريخ .

١٢ - صحيح مسلم - بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة أولى ١٩٥٦م مطبعة عيسى الحلبي .

١٣ - صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية - أبو الحسن الندوي - طبعة ثالثة ١٩٨٨م بدون اسم مطبعة .

١٤ - علوم الحديث لابن الصلاح - ١٩٨١م - الناشر المكتبة العلمية - بيروت .

١٥ - العواصم من القواصم - القاضي أبو بكر بن العربي - بتحقيق محب الدين الخطيب - طبعة ١٩٨٥م المكتبة العلمية بيروت .

١٦ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .

١٧ - منهاج السنة النبوية - ابن تيمية - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت .

١٨ - نهج البلاغة - شرح الإمام محمد عبده - طبعة أولى ١٩٨٥م .

هذا وباللَّه التوفيق

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
المبحث الأول : المنهج القويم في التعامل مع الصحابة الكرام والأدلة عليه	١١
أولاً : شهادة القرآن الكريم لهم	١٤
ثانيًا : شهادة النبي ﷺ لأصحابه	٣٦
ثالثًا : شهادة الصحابة لبعضهم	٤٢
رابعًا : شهادة الأعداء لهم	٤٨
خامسًا : شهادة الواقع	٥٥
المبحث الثاني : خطورة الطعن في أصحاب النبي ﷺ وحكم فاعله	٥٩
المبحث الثالث : ما شجر بين الصحابة من خلاف والطريقة المثلى في التعامل معه	٧٧
الخاتمة	٨٦
المراجع	٨٩
الفهرس	٩٣

للمؤلف من إصدارات دار السلام

- المسلمون وداء الفرقة .
- آفات السهر ومنافع البكور بين الطب والدين .
- العلماء بين التوقير والتطاول